سلاطين بني عثمان

●● ان الترويج لقيام دولة خلافة عثمانية تنضوي الدول الاسلامية تحت مظلتها هو من باب الوهم الحالم.. فلماذا الاصرار على ان نكون ملكيين اكثر من الملك؟ ●●

***

«.. يتميز العقل العربي والمسلم، من الناحية العلمية، بضعف قدرة الاستيعاب لديه لحقائق الواقع الاجتماعي المخصوص وذلك تحت تاثير الطوباوية المحلقة - حتى يومنا هذا - في سماء الاماني والشعارات والاوهام السياسية التي تؤدي الى عكس المامول منها..»

(د. محمد جابر الانصاري).

●●●

تذكرت هذا الكلام الذي قراته منذ ايام للدكتور الانصاري وانا اطالع ما كتبه احد نواب التزمت في مجلس الامة عن «اسود البسفور»، والذي كال فيه مجموعة من المدائح والصفات الحميدة والتفاني على الدولة العثمانية وسلاطينها.

قلة هي تلك الانظمة او الدول التي حازت كل ذلك الكم الهائل من الشتائم والسباب واللعنات من الشعوب والحكومات المجاورة لها ومن الشعوب والحكومات التي كانت خاضعة لسيطرتها ومن الشعوب التركية نفسها التي تنهدت الصعداء، الا قلة كانت مستفيدة من الوضع السابق، من زوال الحكم السلطاني المتحلل والمستبد وانتهاء سيطرة آل عثمان الذين تم على ايديهم تشكيل صورة كاملة البغض للاسلام والمسلمين لا نزال نعاني منها الى يومنا هذا.

اما ان ياتي هذا النائب المستكتب ويتحسر على زوال الامبراطورية العثمانية ويستشهد بصلاحها بمجموعة من ابيات الشعر التي قيلت في مدح سلاطين بني عثمان فان في ذلك منتهى السخف حيث ان ما كتب عن فساد وتخلف وظلم وقسوة تلك الدولة وزعمائها يعادل آلاف المرات ما كتب عنهم من مدح.

باستطراد سريع لوقائع التاريخ واحداثه نجد ان البداية كانت مع الفرس في تشكيل اول قوة عسكرية استعمارية في العالم، وتم تحطيم تلك الامبراطورية والقضاء عليها على يد القوات الهلينية اليونانية بقيادة الالكسندر (الاسكندر) ثم ورثت الامبراطورية الرومانية الارض وما عليها وحكمتها مدة طويلة وظهرت بعدها الدولة الاسلامية حيث توالت حروبها وتوسعاتها الاستعمارية والتي سميت بالفتوحات، التي انتهت على يد العثمانيين، وظهرت قبل هذه وبعدها مجموعة من الحكومات والامبراطوريات العسكرية وتعايشت مع غيرها فكانت للهولنديين امبراطوريتهم الصغيرة تارة وللبرتغاليين وقتهم ليصبحوا قوة وللالمان والايطاليين مستعمراتهم واساطيلهم البحرية!! ثم برزت، في خضم ذلك، الامبراطوريتان الفرنسية والانكليزية حيث توسعتا بصورة اصبحت الشمس لا تغيب عن مستعمراتهما لاتساعها وشمولها لكل بقعة على الارض تقريبا.

من محصلة كل ذلك لم يشهد التاريخ على اطلاقه بروز اي من تلك القوى مرة اخرى بعد انهيارها والاستثناء الوحيد كان مع الالمان حيث تمكنوا لاكثر من مرة ولاكثر من سبب من خلق آلة عسكرية عدوانية تم تحطيمها في كل مرة!!! وعليه فان ما يقول به او ما يدعو اليه هذا النائب او ذلك الطرف من الدعاية المجوجة لقيام دولة خلافة عثمانية تنضوي تحت مظلتها كافة الدول الاسلامية لتصبح قوة عسكرية مهابة. تعيد للاسلام قوته وعزته، هو من باب الاحلام غير القابلة للتحقق، ليس فقط بسبب عدم عملية الفكرة للعديد من الاسباب، بل لان الفكرة كما يريدها الجماعة الان لم تكن موجودة اصلا فمشروع الدولة العثمانية ودولة الخلافة فيها لم يكن في محصلته اكثر من تسييد للعنصر التركي على غيره من العناصر التي شاء سوء حظها وقوعها تحت سيطرتهم، ولم تكن عزة الاسلام هدف تلك الدولة الاوحد اصلا، فلماذا نصر على ان نكون ملكيين اكثر من الملك نفسه؟

احمد الصراف